صِفَاتُ المكذِّب بالدين
على ضَوء سورةِ المَاعُون

إعداد

د. نجبة غلام نبي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

من ١٧٣ إلى ٢٢٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فإن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية بالقرآن بالكريم دستور المسلمين ، وقائدهم إلى سعادة الدارين ، فالإيمان اعتقاد وقول وعمل ، ولا يمكن للمسلم أن يترقى في درجات العلا في الدنيا والآخرة إلا بالمزج بين الأعمال القلبية وأعمال الجوارح ، وبين صدق الباطن والظاهر .

وسورة الماعون من السور المكية التي نزلت في أوائل العهد المكي ، وهي من السور التي تحدثت عن صفات المكذِّب بالدين .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة .

أما التمهيد فعنوانه : معلومات عامة عن السورة .

وأما المباحث فهي :

المبحث الأول : استفهام التشويق والتعجيب

المبحث الثاني : ظلم اليتيم

المبحث الثالث : عدم الحض على إطعام المسكين

المبحث الرابع : مآل الساهين عن الصلاة والمرائين بها

المبحث الخامس : منع الخير عموماً

أما الخاتمة ففيها أهم النتائج والتوصيات

التمهيد

معلومات عامة عن السورة[١]

١) مكان نزولها :

سورة الماعون سورة مكية في قول الجمهور[٢] ، ومدنية في قول آخر[٣] .

عن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما قال : كانت إذا أُنزلت فاتحة سورة بمكة ، كتبت بمكة ، ثم يزيد الله فيها ماشاء[٥] ، وورد أنه : نزل ثلاث آيات من أولها بمكة ، وبقيتها نزلت في المدينة[٦] . قال مقاتل[٧] : سورة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ مكية ، إلا قوله : ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾ إلى آخرها فإنها مدنية[٨]. وهو الأظهر[٩] .

---

[١] أكثر كتب التفسير ذكرت أسباباً لنزول الآيات الأولى من السورة ، ولكن أسانيدها ضعيفة ، ولم يثبت في كتب أسباب النزول الصحيحة شيء منها ؛ لذلك لم أذكر أسباب النزول . راجع الصحيح المسند من أسباب النزول للوادعي . المحرر في أسباب نزول القرآن ، د. خالد بن سليمان المزيني .

[٢] ينظر : الدر المنثور للسيوطي ، ٦٤١/٨ . تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، ٥٥١/٨ . بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، ٦٤١/١ . تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، ٥٤٧/٦ . المحرر الوجيز لابن عطية ، ٣٧٠/١٦ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١٩٣/٢٠ . البرهان للزركشي ، ٢٨٠/١ . فتح القدير للشوكاني ، ٦٢٢/٥ .

[٣] الجامع لأحكام القرآن ، ٢٠ /١٩٣ . فتح القدير ، ٦٢٢/٥ . محاسن التأويل للقاسمي ، ٢٦٨/١٧ . في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٦٧٨/٨ .

[٤] عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ﷺ ، كان يسمى البحر لسعة علمه ، دعا له النبي ﷺ مرتين ، استعمله علي بن أبي طالب على البصرة ، وشهد معه صفين ، كان الصحابة إذا اختلفوا في أمر صاروا إلى قوله ، توفي بالطائف ودفن بها عام ٦٨ وعمره ٧٠ ، وقيل غير ذلك . بتصرف من أسد الغابة ، ١٨٦/٣–١٩٠ .

[٥] نقلاً عن الاتقان ، ٣١/١ . التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ، ٤٣٤/٤ .

[٦] الاتقان ، ٥٢/١ .

٢) وقت نزولها :

نزلت السورة ، أو نزل أولها بمكة بعد سورة (التكاثر) ، وقبل سورة (الكافرون) ، وهي السورة السادسة عشرة في عداد نزول السور[١]. والسورة السابعة بعد المائة بحسب ترتيب المصحف العثماني .

٣) عدد آياتها :

هي ست آيات في عدة أهل الحجاز والشام[٢] ، واختلافها في ﴿ يُرَآءُونَ ﴾ ، عدَّها الكوفي والبصري ، ولم يعدّها الباقون[٣] .

٤) عدد كلماتها وحروفها :

عدة كلماتها خمس وعشرون كلمة[٤] ، وحروفها مائة وخمس وعشرون[٥] .

٥) فواصلها :

فواصل آياتها على النون[٦] ، وهو من السجع[٧] الجميل في السورة كلها ، وهو من المحسنات البديعية غير المتكلف[٨] .

---

(٧) مقاتل بن سليمان البلخي ، كبير المفسرين ، روى عن مجاهد والضحاك وغيرهما . قال ابن المبارك : ما أحسن تفسيره لو كان ثقة ، توفي سنة نيف وخمسين ومئة . بتصرف سير أعلام النبلاء للذهبي ، ٢٠١/٧-٢٠٢ .

(٨) نقلاً عن الاتقان ، ٢٩٠/١ .

(٩) التحرير والتنوير لابن عاشور ، ٥٦٣/٣٠ .

(١) البرهان ، ٢٨٠/١ . الاتقان ، ٣١/١ .

(٢) درج الدرر في تفسير القرآن العظيم للجرجاني ، ٧٣٩/٢ .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للبقاعي ، ٥٤٦/٨ . بصائر ذوي التمييز ، ٥٤٦/١ .

(٤) نظم الدرر ، ٥٤٦/٨ .

(٥) بصائر ذوي التمييز ، ٥٤٦/١ .

(٦) المرجع السابق .

٦) أسماؤها :

ينبغي البحث عن تعداد الأسامي ، هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معانٍ كثيرة تقتضي اشتقاق أسمائها[٩] .

أ) اسم السورة التوقيفي (الماعون) فلم يقع هذا اللفظ في غيرها من سور القرآن[١٠] .

وقد ورد هذا اللفظ (الماعون) في نهايتها ، ولا شك أن العرب كانت تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خُلق أو صفة تخصه[١١] .

ب) سورة (أرأيت) أو (أرأيت الذي يكذب بالدين) وقد وردت هذه التسمية في بعض الكتب[١] . ووجه التسمية أنها سُمّيت بأول كلمة افتتحت بها اختصاراً [٢] .

ج) سورة الدِّين .

عنونت بهذا الاسم في عدة مصاحف ، منها مصحف نسخ سنة (١٠٩٨هـ) ، ومصحف نسخ سنة (١٢٠١هـ) ، ومصحف آخر لم يكتب فيه سنة النسخ ، وهذه المصاحف مخطوطة بجامعة الإمام [٣] . وذكر هذا الاسم بعض المفسرين في كتبهم[٤] .

---

[٧] السجع : اتفاق الفواصل في آخر الجمل .

[٨] الاعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، ص(٤٣٧) .

[٩] البرهان ، ٣٦٧/١ .

[١٠] الأساس ، سعيد حوى ، ٥٧٢/٦ .

[١١] البرهان ، ٣٦٨/١ . التفسير الموضوعي بإشراف د/ مسلم ، ٣٧٥/٩ .

[١] جامع البيان للطبري ، ٦٥٧/٢٤ . المحرر الوجيز ، ٣٧٠/١٦ . التفسير الكبير للفخر الرازي ، ١١١/٣٢ . أحكام القرآن للجصاص ، ٣٧٥/٥ . صحيح البخاري ، ٧٥٤/٩ . بصائر ذوي التمييز ، ٥٤٦/١ . روح المعاني للألوسي ، ٤٧٤/١٠ . فتح القدير ، ٦٢٢/٥ . التحرير والتنوير ، ٥٦٤/٣٠ . حدائق الروح والريحان للهرري الشافعي ، ٣٦١/٣٢ .

[٢] أسماء سور القرآن ، د. منيرة الدوسري ، ص(٦٠٥) .

د) سورة اليتيم[٥] .

هـ) سورة التكذيب[٦] .

٧) محور السورة .

تحدثت السورة بإيجاز عن فريقين من البشر هما :

أ) الكافر الجاحد لنعم الله المكذب بيوم الحساب والجزاء[٧] ، فالتكذيب بالبعث يجرئ المكذب على مساوئ الأخلاق ومنكرات الأعمال حتى تكون الاستهانة بالعظام خُلقاً له ، فيصير ممن ليس له أخلاق[٨] .

ب) المنافق الذي لا يقصد بعمله وجه الله ، بل يرائي في صلاته وأعماله[٩] .

ففيها ذمّ المقصرين والمرائين، ومانعي نفع المعونة عن الخيرات والمساكين[١٠].

وكل من أسمائها السابقة في غاية الظهور في الدلالة على ذلك بتأمل السورة ، فهي ناهية عن المنكرات بتصريحها ، داعية إلى المعالي بإفهامها[١].

فالسورة توضح بجلاء آثار التكذيب باليوم الآخر في السلوك البشري[٢].

---

(٣) المرجع السابق ، ص(٦٠٦) .

(٤) نظم الدرر ، ٥٤١/٨ . روح المعاني ، ٤٧٤/١٠ . فتح القدير ،٦٢٢/٥ . حدائق الروح والريحان ،٣٦١/٢٢ . الاتقان ، ١٧٦/١ .

(٥) فتح القدير ، ٦٢٢/٥ . حدائق الروح ، ٣٦١/٢٢ .

(٦) نظم الدرر ، ٥٤١/٨ . روح المعاني ، ٤٧٤/١٠ . حدائق الروح ، ٣٦١/٢٢ .

(٧) الاعجاز البلاغي ، ص (٤٣٧) .

(٨) بتصرف شديد من نظم الدرر ، ٥٤١/٨ .

(٩) الاعجاز البلاغي ، ص(٤٣٧) .

(١٠) بصائر ذوي التمييز ، ١ /٥٤٦ .

(١) نظم الدرر ، ٥٤١/٨ .

(٢)الأساس ، ٥٧٣/٦ .

وقد جيء فيها بالأفعال المضارعة (يكذب – يدّع– لا يحض – يراءون – يمنعون) لإفادة تكرر ذلك منهم ودوامه ، فهم يجددون دواماً ممارساتهم في التكذيب وما بعده ؛ لأن صيغة الفعل المضارع تدل على التكرار والتجدد [٣].

٨) المناسبة بين اسم السورة ومحورها :

اسم السورة (الماعون) [٤].

والماعون : المعروف كله لتيسره وسهولته لدينا بافتراض الله تعالى إياه علينا[٥].

وقيل : هو ما ينتفع به المسلم من أخيه ، كالعارية والإعانة ونحو ذلك[٦].

والماعون مفعول من أعان يعين ، والعون هو الإمداد بالقوة والآلة والأسباب الميسِّرة للأمر [٧].

وبذلك يظهر علاقة اسم السورة بمحورها ، وقد ذكر الله تعالى صفات المكذّب ، وربط بين إيمان الباطن والظاهر ، فالتكذيب قلبي ودفع اليتيم وزجره ، وعدم الحث على إطعام المحتاجين وبذل المعروف لهم ظاهري ، والمراءاة بالعبادات أو بعمل الخير قلبي ، ومنع الخير والمعروف ظاهري .

يقول صاحب الظلال : " إن هذه السورة الصغيرة ، ذات الآيات السبع القصيرة ، تعالج حقيقة ضخمة تكاد تبدل المفهوم السائد للإيمان والكفر .

إن هذا الدين لا تغني فيه مظاهر العبادات والشعائر مالم تكن لها آثار في القلب تدفع إلى العمل الصالح ، وتتمثل في سلوك تصلح به حياة الناس في هذه الأرض وترقي .... إن حقيقة الإيمان حين يستقر في القلب تتحرك من فورها لكي تحقق

---

[٣] التحرير والتنوير ، ٥٦٥/٣٠ . معارج التفكر ، ٦٩٧/١ .

[٤] سيأتي مزيد بيان لمعنى الماعون في المبحث الأخير .

[٥] لسان العرب ، ٤١٠/١٣ ، مادة (معن) .

[٦] جامع البيان في مفردات القرآن ، ١٢٧٢/٤ .

[٧] أحكام القرآن لابن العربي ، ١٩٨٤/٤ . الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١٩٧/٢٠ .

ذاهّا في عمل صالح ، فإذا لم تُتخذ هذه الحركة فهذا دليل على عدم جدواها أصلاً "[٨] .

[٨] في ظلال القرآن بتصرف شديد ، ٨/٦٧٨-٦٧٩ .

المبحث الأول

استفهام التشويق والتعجيب

قال الله تعالىٰ : ﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ ﴾

افتتحت هذه السورة بقوله تعالىٰ : ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ وهذا اللفظ وإن كان في صورة الاستفهام[١] ، لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب[٢] ، وتشويق السامع إلىٰ معرفة ما يذكر بعده[٣] .

وقد صِيغ هذا الإستفهام التعجبي في نظم مشوق لأن التكذيب بالدين كان شائعاً في مكة ، فلا يكون مثاراً للتعجب ، فيترقب السامع ماذا يَرِدُ بعده[٤] ، وينتظر من يسمع هذا الاستفهام ليرىٰ إلىٰ أين تتجه الإشارة ؟ وإلىٰ من تتجه ؟ ... وإذا الجواب ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾ .

وقد تكون هذه مفاجأة للسامعين ، فقد جاء الجواب علىٰ غير المتوقع ، فلا تعرفه بذاته ، ولكن تعرّف عليه بصفاته[٥].

---

[١] الاستهلال بالاستفهام معناه الاستخبار أي طلب الخبر عن شيء لم يكن معلوماً ، والاستفهام أسلوب فني يتضمن التنبيه والإيقاظ إلىٰ أمر مهم ، خاصة في الخطاب المكي لغفلة الناس وجهلهم ، فيحتاجون إلىٰ ما يحيِ فيهم اليقظة والتنبيه وإثارة الحافظة . ينظر منتديات مكتبتنا العربية ، الجوانب الفنية في فواتح السور القرآنية ، د/ عبد الكريم الخزرجي .

[٢] قال الزمخشري : معنىٰ التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين ، لأن التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله . وقال الرماني : المطلوب في التعجب الابهام لأن من شأن الناس أن يتعجبوا مما لا يعرف سببه فكل ما أُستبهم السبب كان التعجب أحسن . راجع دلالات أدوات الاستفهام البلاغية . منتدىٰ فرسان الحق . راجع أيضاً التفسير الكبير ، ١١١/٣٢.

[٣] التفسير المنير ، ٤٢٢/٣٠ .

[٤] التحرير والتنوير ، ٥٦٤/٣٠ .

[٥] في ظلال القرآن ، ٦٨٠/٨ .

وقيل : إن همزة الإستفهام تدل على التقرير والتفهيم ؛ ليتذكر السامع من يعرفه بهذه الصفة [٦] .

وقوله ﴿ أَرَءَيْتَ ﴾ يجوز أن تكون من رؤية العين فالرؤية بصرية ، فلا يقدّر في الكلام حذف والمعنى أرأيت يا محمد -ﷺ- الذي يكذب بثواب الله وعقابه ، فلا تطعه في أمره ونهيه[٧] .

ويجوز أن يكون من رؤية القلب فتقدر الحذف ، والتقدير : أرأيت الذي يكذب بالدين بعد ما ظهر له من البراهين ، أليس مستحقاً عذاب الله ؟ [١] .

ومعنى (الدين) : المعاد والجزاء والثواب[٢] ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يكذب بحكم الله عزوجل[٣] ، وقيل (الدين) هو الإسلام[٤] ، الذي جاء بوجوب الإيمان بالبعث والحساب ، الذي يغرس في النفوس وازعاً يردعهم عن الظلم وعمل المنكر ، ويحدّ من كبريائهم وسوء طبعهم[٥].

إن حقيقة التصديق بالدين ليست كلمة تقال باللسان ؛ إنما هي تحول في القلب يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في البشرية ، المحتاجين إلى الرعاية والحماية .

والله تعالى يريد مع الإيمان أعمالاً تصدقه ، وإلا فهي هباء ، لا وزن لها عنده ، ولا اعتبار[٦] .

---

[٦] البحر المحيط ، ٥٥٢/١٠ .
[٧] الهداية إلى بلوغ النهاية ، لأبي طالب القيسي ، ٨٤٥٩/١٢ .
[١] الهداية ، ٨٤٥٩/١٢ .
[٢] تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٥٤٧/٦ .
[٣] جامع البيان ، للطبري ، ٦٥٧/٢٤ .
[٤] روح المعاني ، ٤٧٤/١٠ .
[٥] تنوير المستنير في بيان معاني البيان ، لابن جديدية ، ٥٦٥/٧ .
[٦] في ظلال القرآن ، ٦٨٠/٨ .

والمعنىٰ انظر الذي كذّب بالدين ، تجد فيه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة وقسوة القلب وغلظة الطبع ؛ وذلك لأن الدين يحمل صاحبه علىٰ فعل الحسنات وترك السيئات (٧) .

---

(٧) التسهيل لعلوم التنزيل ، ٤/٤٣٤ .

المبحث الثاني

ظلم اليتيم

قال الله تعالىٰ : ﴿ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ ﴾ .

تفسير الآية :

معنىٰ (الدّع) أي الدفع دفعاً عنيفاً[١] ، والدفع بالعنف والجفوة والأذىٰ[٢]، والدع الطرد والدفع والانتهار[٣] .

و (اليتيم) الذي مات أبوه فهو يتيم حتىٰ يبلغ ، فإذا بلغ زال عنه اسم اليتم ، ويقال للمرأة يتيمة مالم تتزوج فإذا تزوجت زال عنها اسم اليتم .

وأصل اليُتم : الغفلة وبه سُمي اليتيم يتيماً لأنه يُتغافل عن بَرّه . وقيل : أصله الإبطاء ، ومنه أُخذ اليتيم لأن البِرَّ يُبطئ عنه[٤] .

ذكر الله تعالىٰ أول صفة من صفات المكذب بالدِّين ، أنه يدفع اليتيم بعنف عن حقه وماله ظلماً وطمعاً فيه أو إبعاداً له وزجراً ، ويقهره ولا يطعمه ولا يحسن إليه ، ويزجره زجراً عنيفاً إن جاء يطلب منه حاجة فلا يرفق به ولا يرحمه لقساوة قلبه[٥].

والفاء تدل علىٰ أن ذلك – أي التكذيب بالدين – هو سبب الدَّع وترك الحض[٦].

---

[١] لسان العرب ، لابن منظور ، ٨/٨٥ ، مادة (دع) .

[٢] معالم التنزيل ، للبغوي ، ٨/٥٥١ . البحر المحيط ، ١٠/٥٥٢ .

[٣] لسان العرب ، ٨/٨٥ ، مادة (دع) .

[٤] المرجع السابق ، ١٢/٦٤٥ ، مادة (يتم) .

[٥] بتصرف من : تفسير ابن كثير ، ٦/٥٤٧ . تفسير عز الدين بن عبد السلام ، ٣/٤٩٤ . تفسير المراغي ١٠/٥٠٠ . تفسير السعدي ، ٥/٤٦١ .

[٦] غرائب التفسير وعجائب التأويل ، ٢/١٣٩٥ .

وفي إقحام اسم الإشارة (فذلك) موضع الضمير بتقدير (هو) بعد الفاء ، للدلالة على التحقير فهو البغيض البعيد المبعد من كل خير[٧] ، وجاء استعمال اسم الإشارة الخاص بالبعيد (فذلك) للدلالة على أنه بعيد جداً عن رحمة الله التي وسعت كل شيء ، إذ قد أخرج نفسه بتكذيبه وكفره ، أو حجبها عن أن تشمله [٨] .

وفي قوله (يَدُّع) قراءات :

١) قرأ الجمهور بضم الدال وشدّ العين ، ومعناها أنه يعتاد ذلك العنف والقهر والأذى ، فلا يتناول الوعيد من وُجد منه ذلك وندم عليه [١] .

٢) قراءة بفتح الدال وخف العين (يدَع) ومعناها أنه يترك اليتيم ولا يحسن إليه ولا يدعوه بدعوة ،أي يدعو الأجانب ويترك اليتيم [٢] .

٣) قراءة (يدعو) أي يدعو اليتيم رياءً ثم لا يطعمه ، إنما يدعوه استخداماً أو قهراً أو استطالة[٣] .

وحاصل الأمر في (دَعَّ) اليتيم) أمور :

١) دفعه أو زجره عن حقه وماله بالظلم ، خاصة أن العرب في الجاهلية كانوا لا يورِّثون النساء والصبيان . قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ ﴾ (النساء : ١٠) .

---

[٧] روح المعاني ، ٤٧٥/١٠ . تفسير الخطيب الشربيني ، ٦٩٢/٤ .

[٨] معارج التفكر ، ٦٩١/١ .

[١] التفسير الكبير ، ١١٣/٣٢ .

[٢] المحرر الوجيز ، ٣٧٠/١٦ . التفسير الكبير ، ١١٣/٣٢ . البحر المحيط ، ٥٥٢/١٠ . روح المعاني ، ٤٧٥/١٥ .

[٣] التفسير الكبير ، ١١٣/٣٢ .

٢) مقابلة الأيتام مقابلة فيها جفوة واحتقار ، وفيه دفع عن حقوقهم المعنوية ، فلا تتم كرامة الإنسان وسعادته إلا بكفالة كل مواطن لحق الحياة ، الحرية ، العلم ، الكرامة ، التملك[٤] .

٣) ذكر الله من صفات من آثر الدنيا على الآخرة ، وبيّن سوء أفعاله فقال عز من قائل ﴿ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الفجر : ١٧) .أي أنكم تتركون إكرام اليتيم ، فتأكلون ماله ، وتمنعونه من فضل أموالكم[٥] فأنتم لا تكرمونه بل تهينونه وتستخفون به وتزجرونه وتضربونه ، وهذا يدل على عدم الرحمة في القلب وعدم الرغبة في الخير ، وعدم الاهتمام بأحوال الخلق المحتاجين[٦] .

٤) نهى الله تعالى نبيه ﷺ – وأمته تبع له في ذلك – عن إذلال اليتيم ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ ﴾ (الضحى : ٩) ، أي لا تذله ولا تنهره ولا تُهنه ، ولكن أحسن إليه وتلطف به ، ففيه توجيهٌ إلى إكرام اليتيم والنهي عن قهره وكسر خاطره وإذلاله[٧] ، ولا تغلبه على ماله ولا تحتقره ؛ فإن الذي فقد أباه معرّض لفساد طبيعته إذا أهملت تربيته ، ولم يُهتم بالعناية به ورفع منزلته ، وهذا يؤدي إلى فساد أخلاقه وتعطيل مواهبه وإمكاناته[١] ، وقرئ (فلا تكهر) أي لا تعبس في وجهه[٢] ، وهي قراءة شاذة[٣] .

---

[٤] منهاج الصالحين ، ص(٤٢٤) .

[٥] فتح القدير ، ٥/٥٣٧ .

[٦] التفسير الكبير ، ٣١/١٧٢ . تفسير السعدي ، ٥/٤١٣ .

[٧] في ظلال القرآن ، ٨/٦٠٤ .

[١] تفسير المراغي ، ١٠/٤١٧ .

[٢] تفسير أبي السعود ، ٥/٨٨٠ .

[٣] تفسير الطبري ، ٢٤/٤٩٠ .

والفرق بين الدّع والقهر ؛ أن الدَّع هو الدفع دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى ، وردِّه رداً قبيحاً بزجر وخشونة . أما القهر فهو الغلبة على ماله وحقه لضعفه أو أن يسلط عليه من يقهره[٤] .

اهتمام الإسلام باليتيم[٥] :

لقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة بأمر اليتيم وتربيته من الناحية النفسية والمادية على السواء مراعاة لظروفه ، فقد يحس بشيء من الذل أو القهر أو الإنكسار ؛ بل ورد هذا الإهتمام في الرسالات السماوية . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ .... ﴾ (البقرة: ٨٣)

ومن الآيات التي حثت على الاهتمام بالأيتام :

١) قال تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ.... ﴾ (البقرة :٢٢) .

هذا سؤال عن اليتامى كيف تكون معاملتهم وهذا السؤال ناتج عن شدة خوف الصحابة رضي الله عنهم فيما يتعلق بأمور اليتامى ، وكلمة (إصلاح) تعني أن الإنسان يتبع ماهو أصلح لهم في جميع الشؤون سواء كان ذلك في التربية ، أو في المال ، وسواء كان ذلك بالإيجاب أو السلب ، فأي شيء يكون إصلاحاً لهم فهو خير[٦] ، فعليكم أن تصلحوا نفوسهم بالتربية والتهذيب ، وأموالهم بالتنمية والتثمير ، ولا تهملوا شؤونهم فتفسد أخلاقهم وتضيع حقوقهم[٧] .

---

[٤] انظر : الكشاف للزمخشري ، ٢٦٥/٤ . جامع البيان في مفردات القرآن ، ٧٥٢/٢ .

[٥] ذكر الله تعالى الإحسان إلى اليتامى ذكوراً وإناثاً ، والنهي عن إهانتهم وأكل حقوقهم في أكثر من عشرين آية في القرآن المكي والمدني .

[٦] تفسير القرآن العظيم (سورة البقرة) لابن عثيمين ، ٧١/٣-٧٤ .

[٧] تفسير المراغي ، ٣١١/١ .

إن من رحمة الله بخلقه أن حثهم على معاونة اليتيم وإصلاحه والقيام على شئونه ، لينشر التراحم بين الناس ، وليضعف الشرَّ فيهم ويكثر الخير والإنتاج[٨] إن إصلاح حال اليتامى يكون بالتربية والتهذيب والعطف والمحبة والرأفة ، وعدم تكليفهم ما يشقُّ عليهم ؛ لأن الغلظة معهم تربي فيهم الجفوة وتنشأ عنها القسوة .

وقد أثبت علم النفس الجنائي أن روح الإجرام تنبعث عند النشأة الأولى في الأطفال الذين يُحسون أن المجتمع يجفوهم ويغلظ عليهم ، فيخافونه ويبغضونه ويترقبون الفرصة السانحة ليستلبوا المال أو الأرواح ، أو ما يمكنهم أن يصلوا إليه . فكان لابد من تربية اليتيم بالإصلاح والتهذيب ، وألاّ يقهر حتى لا يجفو فيكون من وراء ذلك الشر المستطير والخطر الكبير[١] .

٢) نهى الله تعالى عن ظلم اليتيمات ، بعدم القسط لهن عند نكاحهن بالمهر والنفقة والمبيت ، فقد اجتمع في حقهن ضعف الأنوثة وضعف اليُتم . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ..... ﴾(النساء :٣) .

عن عروة[٢] بن الزبير ، أنه سأل عائشة عن قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ فقالت : يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويُعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ويبلغوا لهن سُنّتهن في الصداق ، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ، قال عروة : قالت عائشة : وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺبعد هذه الآية فأنزل الله : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ

---

[٨] زهرة التفاسير ، محمد أبو زهرة ، ٧١٤/٢ .

[١] زهرة التفاسير ، ٧١٠/٢ .

[٢] عروة بن الزبير ، عالم المدينة ، أحد الفقهاء السبعة ، حدّث عن أبيه وعن أمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة والحسن والحسين وغيرهم ، قال العجلي عنه / تابعي ثقة ، رجل صالح لم يدخل في شيء من الفتن توفي عام ٩٤ وقيل غير ذلك وعمره ٦٧سنة . انظر : سير أعلام النبلاء ، ٤٢١/٤-٤٣٤ .

﴿ فِى ٱلنِّسَآءِ ﴾ قالت عائشة : وقول الله تعالى في آية أخرى : ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾ رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال . قالت : فنهوا أن ينكحوا عمن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء ، إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال [٣] .

وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً كانت له يتيمة فنكحها . وكان لها عَذْق[٤]وكان يمسكها عليه ، ولم يكن لها من نفسه شيء ، فنزلت فيه ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله[٥] .

أي إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف أن لايعطيها مهر مثلها فليعدل إلى ما سواها من النساء فإنهن كثير ولم يضيق الله عليه[١] .

يفهم من الآية أن من صور الظلم على الفتيات اليتيمات نكاحهن بسبب أموالهن المشتركة مع الأولياء ، أو بسبب جمالهن ، وقد يكون رغبة في عدم العدل لهن في حقوقهن ؛ لأنه لم يطالب أحد بحقها ولن يدافع عنها ، بسبب فقدانها والدها (الولي والناصر) .

٣) قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ فِى يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن

---

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ ، ١٠٩/٩ ، ح (٤٥٧٤) .

[٤] عَذْقٌ : بفتح العين المهملة وسكون المعجمة ، النخلة .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾ ، ١٠٩/٩ ، ح (٤٥٧٣) .

[١] تفسير ابن كثير ، ١٨٧/٢ .

تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ (النساء : ١٢٧) .

قوله تعالى : ﴿ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ﴾ فيه ثلاث إشارات بيانية :

أ) التعبير بالقيام فإن مؤداه أن ينهض الولي على القاصر بعناية واهتمام ؛ لرعاية حاله ، وكون الخطاب للجميع – لا لخصوص الأوصياء – يدل على الوجوب على الأمة بشأن يتاماها ، أو أن رعايتهم فرض كفاية فهو على الأمة مجتمعة .

ب) التعبير باللام (لليتامى) أي أن يكون القيام والنهوض لمصلحة اليتامى الحقيقية من حيث التربية والتهذيب والمحبة من غير تدليل مُضعف لقوة النفس والعزيمة والإرادة القوية .

ج) أن يكون ملاحظاً في ذلك ، القسط والعدل بألا ينقص من ماله شيء ، ولا يترك هملاً إذا لم يكن له مال ، فإذا كانت العدالة المالية توجب ألا ينقص من ماله ، فالعدالة الاجتماعية توجب أن تُسد خُلته وضعفه . وكانت عناية الإسلام باليتامى ؛ لأنهم قوة للأمة إن صلحوا ، وقوة مدمرة إن لم يصلحوا ؛ فإن أكثر الخارجين على الجماعة تبتدئ عقدهم النفسية في طفولتهم بالجفوة معهم وحرمانهم من المودة والرحمة[٢] .

وإنما خص الإسلام اليتامى بذلك لما تستدعيه حالهم من الرعاية الخاصة ، ولما قد يتعرضون له من الضياع بعد أن توفي عائلهم ، أو لحمايتهم من طمع من لا يخشى الله في سلب أموالهم ، ولتعليم الناس ضرورة التكافل والتراحم والتعاطف في الظروف التي لا تستقيم فيها حياة الأمة إلا بذلك[٣] .

---

[٢] زهرة التفاسير ، ٤/١٨٨٠ .

[٣] التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، عبد الرحمن نجلاوي ، ص(١٣٢) .

نلاحظ أن الله تعالىٰ حث المسلمين بإكرام اليتيم ، والنهي عن إهانته وزجره وقهره ، وقد خص آيتين في القرآن الكريم باليتيمة وأمر بإعطائها حقوقها المالية والمعنوية عند الزواج نظراً لأن المجتمع الجاهلي يأكل حق الضعيفين – اليتيم والمرأة – فلذلك أكَّد الله تعالىٰ علىٰ حقوق يتامىٰ النساء ، وفيه تنبيه للأمة الإسلامية علىٰ الاهتمام بهذين الصنفين اهتماماً بالغاً ﴿ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾(النساء) .

٤) قال النبي ﷺ : (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا)[١] وأشار بالسبابة والوسطىٰ وفرج بينهما.

معنىٰ كفالة اليتيم : أي تربيته والإنفاق عليه ، ولعل الحكمة في ذلك أن كافل اليتيم يقوم بتربية من لا يعقل أمر دينه ولا دنياه ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه ، فلذلك شُبهت منزلته في الجنة بالقرب من منزلة النبي ﷺ ، لكونه بُعث إلىٰ قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون لهم معلماً ومرشداً . قال العلماء : حُقَّ علىٰ من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك[٢] .

وبعد فهذه توجيهات منها ما هو منطوق وأخرىٰ بالمفهوم ، فيها ترغيب في الإحسان إلىٰ اليتامىٰ، وذلك بأداء حقوقهم بتعليمهم وتوجيههم والعطف عليهم وحفظ أموالهم ، وإعطائهم حقوقهم من الميراث ، والزيادة في رزقهم وإكرامهم بما ليس لهم من مال ، وما لا يجب لهم من عمل . وكذلك إعطاء اليتيمات حقوقهن من المهور وغير ذلك [٣] .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الطلاق ، باب اللعان ، ٥٥١/١٠ ، ح (٥٣٠٤).

[٢] انظر فتح الباري ، للحافظ ابن حجر ، ٤٨/١٢-٤٩ .

[٣] تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، ٤٤٥/٥ . تفسير آيات الأحكام في سورة النساء ، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم ، ١٠٦٧/٢ .

المبحث الثالث

عدم الحض على إطعام المسكين

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾

صلة الآية بما قبلها :

لما كانت رحمة الضعفاء علامة على الخير ، كانت القسوة عليهم علامة على الشر ، وكان مَنْ بَخل باللين في قاله ، أشد بخلاً بالبذل من ماله ، قال معرفاً ؛ لأن المكذِّب ينزله تكذيبه إلى أسفل الدركات وأسوأ الصفات الحامل شر الحركات[١] .

لذلك قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ ﴾ .

تفسير الآية :

معنى الحضّ :الحاء والضاد أصلان : أحدهما البعث على الشيء ، والثاني : القرار المستَفِل ، فالأول حضضته على كذا ، إذا حضضته عليه وحرضته . والثاني : الحضيض وهو قرار الأرض[٢] .

وهو ضرب من الحث في السير والسوق وكل شيء ، والحضّ أيضاً : أن تحثه على شيء لا سير فيه ولا سَوْق ، وهو الحث على الخير [٣] .

والمسكين : هو المُتَخَشِّع المُتَذَلِّل من الفاقة والحاجة وهو " مِفْعِيل " من المَسْكنة ، وهي ذل الحاجة والفاقة[٤] . قال النبي ﷺ: ليس المسكين الذي يطوف على الناس

---

[١] نظم الدرر ، ٥٤٣/٨ .

[٢] معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، ١٣/٢ ، مادة (حضّ) .

[٣] لسان العرب ، ١٣٦/٧ ، مادة (حضض) .

[٤] تفسير الطبري ، ١٩٣/٢ .

ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذي لا يجد غنىً يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس)[٥] .

بيّن الحديث أن المسكين هو الذي لا يسأل ، واتصف بالتعفف وعدم الإلحاف في السؤال[٦] ، وقد أقعده الجوع عن العمل ولا يمد يده إلى أحد ولا يفطن له الناس[٧] .

ومعنى الآية أن من صفات المكذب بالدين ، أنه لا يحض نفسه ولا أهله ولا غيرهم على بذل طعام المسكين[١] ، فهو لا يطعمه ولا يأمر غيره من الموسرين بإطعامه لأنه يكذب بالدين[٢] . ففي قوله (ولا يحض) وجهان :

أحدهما : أنه لا يحض نفسه على طعام المسكين ، وإضافة (الطعام) إلى (المسكين) تدل على أن ذلك الطعام حق المسكين فكأنه مالكٌ لما يُعطى له ، وقد منعه المكذب مما هو حقه كما قال تعالى: ﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ١٩ ﴾ (الذاريات) ، وذلك يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه ، لأنه حرمه ما فرض الله من كفايته .

الثاني : لا يحض غيره حضاً عظيماً على إطعام ذلك المسكين ، بسبب أنه لا يعتقد في ذلك الفعل ثواباً ؛ بل هو يمقت المسكين ولا يكرمه ولا يرحمه ، وكل ذلك ناتج عن عدم الإيمان بالحساب والجزاء في الدار الآخرة ، وهذه صفة كل ظالم مانع للحق ، لا يرحم ولا يشفق إذ لو آمن بالجزاء في الدار الآخرة لعمل لها بترك الشر وفعل الخير ،

---

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب قول اله تعالى : ﴿ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗا ﴾، ١٠٤/٤ ، ح (١٤٧٩) .

[٦] فتح الباري ، ١٠٧/٤-١٠٨ .

[٧] الشرح الميسر للصابوني ، ٤١٩/٢ .

[١] فتح القدير ، ٦٢٢/٥ . روح المعاني ، ٤٧٥/١٠ .

[٢] تفسير البغوي ، ٥٥١/٨ . تفسير أبي السعود ، ٩٠٦/٥ .

فمن أراد أن يرى مكذِّباً بالدين فإنه يراه في الظَلَمة المعتدين القساة القلوب ، الذي لا يرحمون ولا يعطون ولا يحسنون[٣] .

ففي قوله (ولا يحض) ما يوضح لمن لا يملك العطاء ، الطريق إلى العطاء ، أي حُضوا غيركم على العطاء[٤].

وفي هذا توجيهٌ لأنظارنا إلى أنّا إذا لم نستطع مساعدة المسكين ، كان علينا أن نطلب من غيرنا معونته ونحثه على ذلك[٥] .

رعاية المساكين في الإسلام :

حث الإسلام على رعاية المساكين اجتماعياً ومساعدتهم مادياً ، ومن خلال النظر في النصوص الشرعية نلمس :

(١) إن العهد المؤكد الذي أُخذ على الأمم السابقة من توحيد الله تعالى في العبادة ، والإحسان إلى الوالدين ، يشمل كذلك الإحسان إلى المساكين . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ .... ﴾(البقرة : ٨٣) .

وهو يعم كل إحسان ، قولي وفعلي ، مما هو إحسان إليهم . وفيه النهي عن الإساءة إليهم ، أو عدم الإحسان والإساءة ؛ لأن الواجب الإحسان والأمر بالشيء نهي عن ضده .

وللإحسان ضدان : الإساءة وهي أعظم جرماً ، وترك الإحسان بدون إساءة وهذا محرم لكن لا يلحق بالأول . وتفاصيل الإحسان لا تنحصر بالعد[١] .

---

[٣] التفسير الكبير ، ١١٣/٣٢ . البحر المحيط ، ٥٥٢/١٠ . نظم الدرر ، ٥٤٣/٨ . تفسير القاسمي ، ١٧/ ٢٦٩-٢٧٠ . تنوير الأذهان للبروسوي ، ٦٠٢/٤ . أيسر التفاسير ، ٧٤٦/٣-٧٤٧ .

[٤] المختصر المختار من تفسير الشعراوي للقرآن العظيم ، ٧٧٠/٢ .

[٥]تفسير المراغي ، ٥٠٠/١٠ .

[١]تفسير السعدي ، ٧٣/١ .

(٢) أن التشريع الحكيم يراعي نفسية الفقراء وعدم إيذائهم وإهانة مشاعرهم ، ويتضح ذلك من خلال تحريم المنّ والأذىٰ عند إخراج الزكاة ، وإعطاء الصدقة . قال تعالىٰ :﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ (البقرة : ٢٦٣) أي الرد الجميل للسائل ، والعفو عنه إذا صدر منه ما يثقل على المسؤول خيرٌ من الصدقة مع الأذىٰ بالمنِ أو غيره ، وأن ألم الحرمان أقل من أذىٰ القول ؛ لأنه أذىٰ يصيب النفس بالجراح وجراح النفس ليس لها التئام ، أما ألم الحرمان فيذهبه الصبر ووراء الصبر الفرج القريب والله مع الصابرين[٢] .

(٣) أن الله تعالىٰ جعل لهم نصيباً مفروضاً من الزكاة . قال تعالىٰ : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ ﴾(التوبة : ٦٠) .

(٤) قال النبي ﷺ : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل)[٣].

أي الساعي الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفعهما ، في مرتبة المجاهدين في سبيل الله لأن فيه إنقاذ حياة هؤلاء الضعفاء ، فأجره عظيم مستمر دائم ، والمحروم من حرمه الله هذا الأجر العظيم[٤].

إن الإحسان إلىٰ المساكين ضرورة من ناحية التضامن والتكافل بين أفراد الجماعة ، وإزالة الفوارق بحيث لا يحس أحد إلا أنه عضو في ذلك الجسد ، وهو أمر له قيمته

---

[٢] تفسير القاسمي ، ٣٣٨/٣ . زهرة التفاسير ، ٩٧٧/٢ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب الساعي على الأرملة ، ٤٩/١٢ ، ح (٦٠٠٦) .

[٤] فتح الباري ، ٦٢٦/١٠ . الشرح الميسر ، ١٤٠/٥ .

الكبرى إذ يربط الإسلام بين طوائف من الناس برابطة الرحمة وعاطفة المشاركة ، فهؤلاء المساكين لا يجدون ما ينفقون ولكنهم يسكتون فلا يسألون كرامة وتجملاً[٥] .

فكل إنسان في ظل دولة الإسلام مهما بَعُد مكانه وصغر شأنه يجب أن يدرك نصيبه من مال الجماعة حسب حقه وحاجته . وعلى الدولة أن تكفل حاجات الفقراء ، ورفع مستواهم بتهيئة فرص العمل لهم ، وتعليمهم وضمان مستوى المعيشة لكلٍ منهم بما يتناسب مع كرامة الإنسان ، ويرتفع بهم عن مستوى الكفاف[١] .

---

[٥] بتصرف شديد من ظلال القرآن ، ١/٣٢٠-٣٢٢ .

[١] بتصرف من: مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ، عابد الهاشمي ، ص(٢٣٦-٢٣٧) .

المبحث الرابع

مآل الساهين عن الصلاة والمرائين بها

قال الله تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾

صلة الآيات بما قبلها :

لما ذكر الله تعالى أولاً عمود الكفر وهو التكذيب بالدين ، وذكر حال المكذب مع الخلائق ، أتبعه بذكر ما يترتب عليه مما يتعلق بالخالق وهو عبادته بالصلاة ، إعلاماً بأن كلاً منهما دالٌ على خراب القلب وموجب لمقت الرب ، وأعظم الإهانة والكرب ، وأن المعاصي شؤم مهلك تنفيراً عنها وتحذيراً منها[١] . فإقدامه على إيذاء اليتيم وتركه للحض تقصير فيما يرجع إلى الشفقة على خلق الله وسهوه عن الصلاة تقصير فيما يرجع إلى التعظيم لأمر الله فلما وقع التقصير في الأمرين فقد كملت شقاوته فويل له[٢] .

معنى الآيات :

(فويل) الفاء للسببيه أي أن الدعاء عليهم بالويل متسبب عن هذه الصفات الذميمة[٣] . فالدعاء عليهم بعذابٍ أو هلاكٍ أو وادٍ في جهنم لهم [٤] .

(للمصلين)[٥] أي الذين هم من أهل الصلاة ، وقد التزموا بها[٦] .

---

[١] البحر المحيط ، ٥٥٢/١٠ . نظم الدرر ، ٥٤٣/٨ .

[٢] التفسير الكبير ، ١١٣/٣٢ .

[٣] الفتوحات الإلهية ، ٥٩٢/٤ .

[٤] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١٩٤/٢٠ . فتح القدير ، ٦٢٣/٥ .

[٥] هذه الآية يتوهم منها الجاهل أن الله توعد المصلين بالويل ، والجواب عن هذا في غاية الظهور ، وهو أن التوعد بالويل منصب على قوله ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ وهم المنافقون على التحقيق . وإنما جاء

(عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون) السهو :نسيان الشيء والغفلة عنه وذهاب القلب إلى غيره[٧] .

والمراءاة :إذا أظهر عملاً صالحاً رياءً وسمعة ، كأنه يُري الناس أنه يفعل ولا يفعل بالنية [٨] .

وللسلف أقوال كثيرة في المراد بهذا السهو ، ولعل كل ذلك من باب التمثيل :

فقيل : هو الالتفات عن اليمين واليسار [١].

وقيل : ساهٍ عنها لا يبالي صلّى أم لم يُصلِّ [٢].

وقيل : لا يرجون لها ثواباً إن صلوا ، ولا يخافون عقاباً إن تركوا [٣].

وقيل : لاهون يتغافلون عنها وفي اللهو عنها والتشاغل بغيرها ، تضييعها أحياناً وتضييع وقتها أخرى [٤].

وقيل : عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به شرعاً ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها . فاللفظ يشمل هذا كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم نصيبه منها وكمل له النفاق العملي[٥] .

التنبيه لأن الزنادقة الذين لا يصلون يحتجون لترك الصلاة بهذه الآية ، فإذا كان الله تعالى توعد بالويل المصلي الذي هو ساهٍ عن صلاته ويرائي فيها فكيف بالذي لا يصلي أصلاً . يراجع أضواء البيان ، ٤٦٦/٩ .

[٦] تفسير ابن كثير ، ٥٤٧/٦ .

[٧] لسان العرب ، ٤٠٦/١٤ ، مادة (سها) .

[٨] المرجع السابق ، ٣٠٢/١٤ ، مادة (رأي) .

[١] روح المعاني ، ٤٧٥/١٠ .

[٢] المحرر الوجيز ، ٣٧٠/١٦ .

[٣] تفسير البغوي ، ٥٥١/٨ .

[٤] تفسير الطبري ، ٢٤ /٦٦٣ .

[٥] تفسير ابن كثير ، ٥٤٧/٦ .

والمعنى ساهون عن صلاتهم سهو ترك لها ، وقلة التفات إليها ، وعدم مبالاة بها ، وذلك فعل المنافقين أو الفسقة من المسلمين[٦]. فهم لاهون عنها حتى يذهب وقتها وإن كانوا خلال ذلك يصلونها[٧] .

ومعنى ذلك أنهم مضيعون لها ، تاركون لوقتها ، مخِلّون بأركانها ، وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة التي هي أعظم الطاعات[٨] .

فكيف بمن يكذب بالدين أن تحدثه نفسه بالصلاة لله وحده ؟ فالتعبير عنهم بـ (المصلين) للتهكم ولهذا استحقوا إنذارهم بالويل[٩] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هم المنافقون يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس ، ويصلونها في العلانية إذا حضروا[١٠] ، لقوله ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ وقال في وصف المنافقين ﴿ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾ (النساء : ١٤٢) .

ويراءون يقصدون أن يرى الناس أنهم على حالٍ حسن وهم بخلافه ؛ ليتحدث الناس لهم بمحاسن ماهم بموصوفين بها . وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله (هم يراءون) لتقوية الحكم أي تأكيده [١].

فهم لا يصلونها لمواقيتها ولا يُتمون ركوعها ولا سجودها ويدل على هذا[٢] قوله تعالى : ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (مريم : ٥٩) ، أي أضاعوا

---

[٦] الجامع لأحكام القرآن ، ١٩٤/٢٠ . تنوير الأذهان ، ٦٠٢/٤ .

[٧] تفسير مقاتل بن سليمان ، ٥٢٧/٣ .

[٨] تفسير السعدي ، ٤٦٢/٥ .

[٩] المختصر المختار من تفسير الشعراوي ، ٧٧٠/٢ .

[١٠] تفسير البغوي ، ٥٥٢/٨ .

[١] التحرير والتنوير ، ٥٦٨/٣٠ .

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، ١٩٤/٢٠ .

المواقيت ، ولو كان تركاً كان كفراً، فإذا أضاعوها فهم لما سواها أضيع ؛ لأنها عِماد الدين وقِوامه وخير أعمال العباد [٣] .

فقد ذم الله تعالىٰ الذين يصلون إذا سَهَو عن الصلاة ، وذلك علىٰ وجهين :

أحدهما : أن يؤخرها عن وقتها .

ثانيهما : أن لا يكمل ما يجب فيها من الطهارة والطمأنينة والخشوع وغير ذلك [٤].

قال النبي ﷺ: (تلك صلاة المنافقين ، يجلس يرقب الشمس حتىٰ إذا كانت بين قرني[٥] الشيطان قام فنقرها أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً)[٦] .

فيه تصريح بذم تأخير صلاة العصر بلا عذر ، والمراد بالنقر : سرعة الحركات كنقر الطائر ، و (لا يذكر الله فيها إلا قليلاً) تصريح بذم من صلىٰ مسرعاً بحيث لا يكمل الخشوع والطمأنينة والأذكار[٧].

ولكن ينقرونها نقراً من غير خشوع وإخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات ، لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور [٨] .

---

[٣]تفسير ابن كثير ، ٢٨٣/٤-٢٨٤ .

[٤]تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ، ١٩١/٧ .

[٥] اختلفوا في المراد بـ (قرني الشيطان) فقيل إنه يحاذيها بقرنيه عند غروبها وكذا عند طلوعها ، وقيل المراد علوه وارتفاعه وغلبته قال الخطابي هو تمثيل ومعناه أن تأخيرها بتزيين الشيطان ومدافعته لهم عن تعجيلها كمدافعة ذوات القرون لما تدفعه. راجع شرح النووي ، ١٢٤/٥ .

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب التبكير بالعصر ، ١٢٣/٥ ، ح(٦٢٢) .

[٧]شرح النووي ، ١٢٤/٥ .

[٨]الكشاف ، ٢٨٩/٤ .

وإنما جاء بالظاهر (المصلين) موضع الضمير ؛ وهو (لهم) لأنهم مع التكذيب وما أضيف إليه من سوء معاملتهم للخلق ، ساهون عن الصلاة غير مكترثين بها[١] ، وللتسجيل عليهم بأن أشرف أفعالهم وصور حسناتهم ، سيئات وذنوب لعدم ماهي به معتبرة من الحضور والإخلاص[٢] . فهم يصلون ولكنهم لا يقيمون الصلاة ؛ إنما يؤدون حركات الصلاة ، ولكن قلوبهم لا تعيش معها ولا تؤتي الصلاة ثمرتها التي شرعت لأجلها[٣] .

فإن قلت : أي فرق بين قوله : (عن صلاتهم) وبين (في صلاتهم) ؟ قلتُ : معنى (عن) أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات إليها وذلك فعل المنافقين .

ومعنى (في) أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم[٤] ، فالمذموم السهو عنها بمعنى تركها والتفريط فيها ، لا السهو فيها [٥] .

ولذلك قال تعالى :﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ ﴾(الروم : ٣١) مرّ عمر رضي الله عنه بمعاذ بن جبل[٦]فقال: ما قِوام هذه الأمة؟

---

[١] تفسير البيضاوي ، ٦٢٥/٢ . حدائق الروح والريحان ، ٣٧٢/٣٢ .

[٢] تفسير القاسمي ، ٢٧٠/١٧ .

[٣] في ظلال القرآن ، ٦٨٠/٨ . تفسير المراغي ، ٥٠٠/١٠ .

[٤] الكشاف ، ٢٨٩/٤ .

[٥] حدائق الروح والريحان ، ٣٧٣/٣٢ .

[٦] معاذ بن جبل بن عمرو من الخزرج ، يكنى بأبي عبد الرحمن ، أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار ، قال النبي ﷺ : (أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل) كان من الذين يُفتون على عهد رسول الله ﷺ كان يكسر أصنام بني سلمة ، توفي في طاعون عمواس بالشام عام ١٨هـ . راجع أسد الغابة ، ٤١٨/٤-٤٢١ .

قال معاذ: ثلاث وهنَّ المنجيات: الإخلاص وهي الفطرة(فطرت الله التي فطر الناس عليها) ، والصلاة وهي الملة ، والطاعة وهي العصمة . فقال عمر : صدقت[٧] .

فالصلاة هي عماد الدين ، ولا يكون الإنسان موضع الإنذار بالويل إذا كان لا يصلي ، أما هؤلاء الذين أنذروا بالويل فقد نعتوا في جملة اسمية موصولة أنهم (عن صلاتهم ساهون) وهذا اسم فاعل ، والاسم أقوى دلالة من الفعل في التعبير عن المداومة والاستمرار ؛ فالاسم يدل على الاتصاف بصفة دائمة لا تتغير ، وعلى هذا يكون اسم الفاعل (ساهون) عن الصلاة بمعنى الترك للصلاة ، لايقومون إليها ولا يحافظون على أوقاتها ولا يتقيدون بها لأن أمر الصلاة غير وارد على بالهم وأذهانهم، وهذا غير مستغرب منهم لأنهم يكذبون بالدين ، فكيف بمن يكذب بالدين أن تحدثه نفسه بالصلاة لله وحده [٨].

---

[٧]تفسير ابن كثير ، ٨٧/٥ .

[٨] تنوير المستنير ، ٥٦٦/٧ .

المبحث الخامس

منع الخير عموماً

قال الله تعالى : ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾

صلة الآية بما قبلها :

لما كان مَنْ بما ذُكر من الصفات السابقة ، ربما فعل قليل الخير دون جليله رياءً ، بيَّن أنه غلب عليهم الشح ، فانسلخوا من جميع خلال المكارم فقال إبلاغاً في ذمهم وإشعاراً بأن أحب الخلق إلى الله أنفعهم لعباده [١].

معنى الآية :

الماعون : أصله (مَعَن) الميم والعين والنون أصل يدل على سهولة أو جرى أو غير ذلك . ومعن الماء : جرى . وماء معين . والمَعْنة : ماء قليل يجري[٢]. ومَعْنُ شيء :ما ينتفع به قلَّ أو كثر ، ويطلق على المعروف والعطاء[٣]. وقيل:هو ما ينتفع به المسلم من أخيه، كالعارية والإعانة ونحو ذلك .

والماعون : المعروف كله لتيسره وسهولته لدينا بافتراض الله تعالى إياه علينا[٤].

والماعون : الماء بلغة قريش ، والماعون : أسقاط البيت ، كالدلو والفأس والقدر والقصعة ، ويطلق على المطر ؛ لأنه يأتي من رحمة الله عفواً بغير علاج .

والماعون في الجاهلية : المنفعة والعطية ، وفي الإسلام : الطاعة والزكاة والصدقة الواجبة ، وكله من السهولة واليسر والقلة ؛ لأنها جزءٌ من كُل . وسميت الزكاة ماعوناً ؛

---

[١] نظم الدرر ، ٥٤٤/٨ .

[٢] معجم مقاييس اللغة ، ٣٣٥/٥ .

[٣]معجم الغني الزاهر ، د.عبد الغني أبو العزم ، ٣١٠٥/٤ .

[٤] جامع البيان في مفردات القرآن ، ١٢٧٢/٤ .

لأنه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير . والمعين والماعون : كُل ما انتفعت به ، وهو المعروف كله[٥].

وكل ما يستعار من قُدوم أو شفرة أو قدر أو قصعة فهو ماعون[٦].

وكذلك يطلق على ما يستعان به على عمل البيت من آنية وآلات طبخ وشد وحفر ونحو ذلك مما لا خسارة على صاحبه في إعارته وإعطائه [٧] .

قال عكرمة[١] : أعلاها الزكاة المعروفة ، وأدناها عارية المتاع كالمنخل والدلو والإبرة . وهذا قول حسن فإنه يرجع إلى شيء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة [٢].

فالماعون يحمل على كل طاعة يخف فعلها لأنه أكثر فائدة[٣] .

تفسير الآية :

إن الله تعالى وصف هؤلاء القوم بأنهم يمنعون على تجدد الأوقات ما أوجب لهم في أموالهم من الحقوق ، لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض[٤] ، فهم لم يحسنوا عبادة ربهم ولم يحسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى [٥].

---

[٥] لسان العرب ، ٤١٠/١٣ ، مادة (معن) . بصائر ذوي التمييز ، ٥١٤/٤ . المحرر الوجيز ، ٣٧٠/١٦. الرائد، جبران مسعود ، ١٤٠٥/٢ . تنوير الأذهان ، ٦٠٣/٤ .

[٦] الكليات ، ص٦٧٧ .

[٧] التحرير والتنوير ، ٣٠ /٥٦٨ .

[١] عكرمة بن عبد الله البربري ، مولى ابن عباس ، أصله من البربر من أهل المغرب ، أحد فقهاء مكة ، قال ابن أبي حاتم : ثقة ، توفي عام (١٠٧) ، بتصرف من الطبقات، ٢١٩/٥ .

[٢] تفسير ابن كثير ، ٥٥٠/٦ . تفسير البغوي ، ٥٥١/٨ .

[٣] التفسير الكبير ، ١١٦/٣٢ .

[٤] تفسير الطبري ، ٦٧٨/٢٤ .

[٥] تفسير ابن كثير ، ٥٤٩/٦ .

ولو كانو يقيمون الصلاة حقاً لله ما منعوا العون عن عباده فهذا محك العبادة الصادقة المقبولة عند الله[٦] . إن الإيمان أخو العطاء والعدالة والشرك أخو الأثره والقسوة[٧] .

حث الإسلام على المعاونة :

إن الإيمان بالله عزوجل ليس زعماً مجرداً ؛ إنما هو عطاء وفداء وذكاء وسناء ، والمؤمنون نماذج الإنسانية الكاملة والشرف الرفيع ، فهم ناشطون في طريق الخير حتى يدركهم الموت فينقلهم إلى منازلهم من جنة الرحمن ، كلٌ على قدر إيمانه ونشاطه وسبقه وتوفيق الله له[٨] .

١) قال الله تعالى : ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾البلد: (١١-١٧) .

العقبة : الطريق الوعر في الجبل[١] ، والمقصود بها هنا جهنم أو جبل في جهنم[٢]– والعياذ بالله – وهي هنا استعارة لما فُسِّرت به من الأعمال الشاقة على النفس – من حيث هو بذل مال – المرتفعة القدر عند الله تعالى . والمراد ذم من قصّر مع ما أنعم الله تعالى به عليه من النعم العظام ؛ كأنه قيل فقصّر ولم يشكر بفعل الأعمال الصالحة ؛ بل غمط النعمة وكفر بالمُنعم واتبع هوى نفسه[٣] .

---

[٦]في ظلال القرآن ، ٦٨١/٨ .

[٧]نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، محمد الغزالي ، ص(٥٤٣) .

[٨] نحو تفسير موضوعي ، ص(٥٢١) .

[١]جامع البيان في مفردات القرآن ، ٦٢٦/٢ .

[٢]تفسير الطبري ، ٤٢٠/٢٤ . المحرر الوجيز ، ٣٠٦/١٦ .

[٣] بتصرف من : روح المعاني ، ٣٥٣/١٥ .

والإيمان شرط قبول هذه الأعمال الخيريه وإنما أُخِّر للترقية من الأدنى إلى الأعلى والترتيب ذِكرى لازماني[٤] .

٢) قال النبي ﷺ : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً[٥]، ثم شبّك بين أصابعه ، والمعاونة في أمور الآخرة وكذا في الأمور المباحة من الدنيا[٦] .

٣) قال النبي ﷺ :" ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " [٧] .

٤) قال النبي ﷺ : " من لا يرحم لا يُرحم " [٨] .

الذي يظهر أن التراحم والتواد والتعاطف وإن كانت متقاربة في المعنى ، لكن بينها فرق لطيف ، فأما التراحم فالمراد به أن يرحم بعضهم بعضاً بأخوة الإيمان لا بسبب شيء آخر ، وأما التوادد فالمراد به التواصل الجالب المحبة كالتزاور والتهادي ، وأما التعاطف فالمراد به إعانة بعضهم بعضاً كما يعطف الثوب عليه ليقويه [٩].

وتشبيه النبي ﷺ المؤمنين بالجسد الواحد فيه تقريب للفهم وإظهار للمعاني في الصور المرئية ، وفيه تعظيم حقوق المسلمين والحض على تعاونهم وملاطفة بعضهم بعضاً ، وفيه استعمال الرحمة لجميع الخلق ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام والسقي والتخفيف في الحمل وترك التعدي بالضرب، ويحتمل أن يكون المعنى من لا يرحم غيره بأي نوع من الإحسان لا يحصل له الثواب [١٠].

---

[٤] التفسير المنير ، ٢٥٣/٣٠ .

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ، ٦٤/١٢ ، ح(٦٠٢٦) .

[٦] فتح الباري ، ٦٥/١٢ .

[٧] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ٥٠/١٢ ، ح(٦٠١١) .

[٨] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، ٥٠/١٢ ، ح(٦٠١٣) .

[٩] فتح الباري ، ٥٢/١٢ .

[١٠] فتح الباري ، ٥٢/١٢-٥٣ .

٥) قال النبي ﷺ :" على كل مسلم صدقة " قالوا :فإن لم يجد ؟ قال : " فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق " قالوا : فإن لم يستطع أو لم يفعل ؟ قال : " فيعين ذا الحاجة الملهوف " قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : " فليأمر بالخير أو قال بالمعروف " قالوا : فإن لم يفعل ؟ قال : فليمسك عن الشر فإنه له صدقة "[١] .

دل الحديث على أن الصدقة لا تنحصر في الأمر المحسوس منه ، فلا تختص بأهل اليسار مثلاً ، بل كل واحد قادر على أن يفعلها في أكثر الأحوال بغير مشقة . فقوله (على كل مسلم صدقة) أي في مكارم الأخلاق وفيه الحث على فعل الخير مهما أمكن ، وأنّ مَن قصد شيئاً منها فتعسر عليه فلينتقل إلى غيره ، فيعين ذا الحاجة الملهوف أي بالفعل أو بالقول أو بهما [٢] .

٦) قال رسول الله ﷺ : (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة [٣] .

في هذا الحديث من الفقه أن كل مسلم على الإطلاق أخ لكل مسلم ، ولا يجوز لغني أن يتعاظم على أخيه الفقير ، ومن أراد أن يكون ربه متولياً قضاء حوائجه دائماً فليكن دأبه أن يقضي حوائج إخوانه المسلمين بغير أجر من الدنيا ؛ بل راضياً بما يعوضه الله من قضاء الحوائج وتفريج الكرب[٤] .

---

[١] أخرجه البخاري في صحيحه ،كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة ، ٦٢/١٢ ، ح(٦٠٢٢) .

[٢] فتح الباري ، ٦٠٢٢/١٢ .

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المظالم ، باب لا يظلم المسلمُ المسلمَ ولا يظلمه ، ٣٨٦/٥ ، ح(٢٤٤٢) .

[٤] الإفصاح عن معاني الصحاح ، للوزير العالم ابن هبيرة ، ٣٥/٤-٣٦ .

وفي الحديث حض على التعاون وحسن التعاشر والألفة ، وأن المجازاة في الآخرة تقع من جنس الطاعات[٥] ، والحديث الشريف يحتوي على كثير من الآداب الإسلامية التي ينبغي أن يتحلى بها المسلمون ، وفقنا الله لعمل الخير والإحسان إلى عباده[٦] .

وبعـد :

إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للذم والتوبيخ ، فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام أحق بذلك ، ولذلك رتب عليها الويل [٧] .

فالخلاصة من تفسير السورة الشريفة أن الله تعالى ذكر بعض صفات المكذبين بالدين فهم لا يصلحون للدنيا ولا للدين ؛ لا يرحمون ضعيفاً ولا محتاجاً ولايعبدون الذي خلقهم ، وإذا أحسنوا طبعوا بإحسانهم الفخر والإستعلاء .

وهذا ليعرف المؤمنون فضل الدين عليهم في تهذيب طباعهم وأخلاقهم لتخرج منهم أمة عظيمة يدعون إلى الخير ويتضامنون ولا يبخلون بما آتاهم الله لقضاء المصالح العامة والخاصة [١] .

---

[٥] فتح الباري ، ٣٨٦/٥ .

[٦] الشرح الميسر ، ٢٤١/٣ .

[٧] تفسير البيضاوي ، ٦٢٥/٢ .

[١] تنوير المستنير ، ٥٦٩/٧ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، الذي أكرمني باتمام هذا البحث والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

بعد الإنتهاء من البحث أبين أبرز نقاطه :

١) سورة الماعون من أوائل القرآن المكي نزولاً ، إذ نزلت بعد (١٥) سورة فقط .

٢) من أبرز صفات المكذب بالدين .

أ) احتقار الضعفاء والتكبر عليهم .

ب) البخل بماله على المحتاجين أو بسعيه بتبليغ الأغنياء عن حاجة العاجزين والمساكين .

ج) عدم إقامة الصلوات المفروضة في أوقاتها ، أو عدم الخشوع والطمأنينة فيها ونحو ذلك .

د) المراءاة بالأعمال الصالحة سواء كانت صلاة أو غيرها ، للحصول على ثناء الناس ومدحهم ، وبذلك تفقد هذه الأعمال الإخلاص وتصير شراً وبالاً على صاحبها – نسأل الله السلامة والعافية –

هـ) من شدة التكذيب للمكذب بالدين أنه كما استهان بأعظم دعائم الدين وهو الصلاة، فإنه استعظم لأدنى أمور الدنيا إعانة الآخرين ما يحتاجونه من منافع أو متاع ثم ترد إليهم .

التوصيات :

١) على علماء المسلمين عند تفسير القرآن الكريم ضرب الأمثلة الواقعية من المجتمع الذي يعيشه المستمعون ؛ ليكون للقرآن أثراً في القلوب . وليستقيم المجتمع عليه كما استقام الأولون .

٢) على المسلم أن يكون حريصاً على أن يظهر دينه الحق على سلوكه وتعامله مع الآخرين.

٣) تربية الناشئة على الاهتمام بالآخرين والوقوف معهم في قضاء حوائجهم وتفريج كرباتهم وتيسير أمورهم لينالوا الثواب العظيم من الله تعالى .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

المراجع

- الاتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي ، تقديم وتعليق د. مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ١٤١٦-١٩٩٦ ، دار ابن كثير ، دمشق.
- أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط بدون ، دار المعرفة ، بيروت .
- الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، الطبعة السابعة ، ١٤٣٠-٢٠٠٩ ، دار السلام ، القاهرة – مصر .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، عز الدين بن الأثير ، الطبعة ١٤٠٩-١٩٨٩ ، دار الفكر ، بيروت .
- أسماء سور القرآن وفضائلها ، د. منيرة الدوسري ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٦ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، إشراف مكتب البحوث والدراسات ، الطبعة ١٤١٥-١٩٩٥ ، دار الفكر ، بيروت .
- الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، محمد حسين سلامة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣-٢٠٠٢ ، دار الآفاق العربية ، القاهرة .
- الإفصاح عن معاني الصحاح ، للوزير العالم ابن هبيرة ، حققه وخرج أحاديثه د. فؤاد عبد المنعم أحمد ، الطبعة الأولى ١٤١٩-١٩٩٨ ، دار الوطن ، الرياض .
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر جابر الجزائري ، الطبعة الثانية ، ٢٠١٣ ، المكتبة الوقفية ، القاهرة .

- البحر المحيط في التفسير ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، طبعة جديدة بعناية الشيخ زهير جعيد ، ١٤٣١-٢٠١٠ ، دار الفكر ، بيروت .
- البرهان في علوم القرآن ، للإمام بدر الدين محمد الزركشي ، تحقيق د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي – الشيخ جمال حمدي الذهبي . الشيخ إبراهيم عبد الله الكردي ، الطبعة الأولى ١٤١٠-١٩٩٠ ، دار المعرفة ، بيروت .
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق محمد علي النجار ، ط بدون ، المكتبة العلمية ، بيروت .
- التحرير والتنوير ، سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ، الطبعة ١٨٨٤، الدار التونسية للنشر ، تونس .
- التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، عبد الرحمن نجلاوي ، الطبعة الثانية ١٤٠٥-١٩٨٥، المكتب الإسلامي ، بيروت .
- التسهيل لعلوم التنزيل ، للإمام محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي ، إبراهيم عطوة عوض ، ط بدون ، دار الكتب الحديثة .
- التفسير الكبير ، للإمام فخر الدين الرازي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، طهران .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، للأستاذ الدكتور وهبه الزحيلي ، الطبعة الأولى ، ١٤١١-١٩٩١ ، دار الفكر المعاصر ، بيروت .
- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، بإشراف أ.د. مصطفى مسلم ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٤-٢٠١٣ ، جامعة الشارقة .
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، الطبعة الثالثة ١٤٢١-٢٠٠٠ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

- الدر المنثور في التفسير المأثور ، للإمام عبد الرحمن جلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ١٤٠٣-١٩٨٣ ، دار الفكر ، بيروت .
- الرائد ، جبران مسعود ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- الشرح الميسر لصحيح البخاري ، الشيخ محمد علي الصابوني ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢-٢٠١١ ، المكتبة العصرية ، بيروت .
- الصحيح المسند من أسباب النزول لفضيلة العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي ، الطبعة الثانية ١٤١٥-١٩٩٤ ، دار ابن حزم ، بيروت .
- الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد المعروف بابن سعد ، تحقيق ، زياد محمد منصور ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية ، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ، الطبعة بدون ، مطبعة البابي الحلبي وشركاه بمصر .
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري ، ط الأولى ، ١٣٩٧ – ١٩٧٧ ، دار الفكر .
- الكليات ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق د. عدنان درويش ، محمد المصري ، الطبعة الثانية ، ١٤٣٢-٢٠١١ ، مؤسسة الرسالة – دمشق .
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للقاضي أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق المجلس العلمي بفاس ، ١٤٠٣-١٩٨٢ ، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة .
- المحرر في أسباب نزول القرآن ، د. خالد بن سليمان المزيني ، الطبعة الثالثة ، ١٤٣٣ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .

- المختصر المختار من تفسير الشعراوي للقرآن العظيم ، الطبعة بدون ، دار الروضة .
- الهداية إلى بلوغ النهاية ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩-٢٠٠٨ ، جامعة الشارقة .
- الهداية إلى بلوغ النهاية ، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٩-٢٠٠٨ ، جامعة الشارقة .
- تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، للإمام محي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، حققه وخرج أحاديثه ، محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعه ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩-١٩٨٩ – دار طيبة ، الرياض .
- تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، للقاضي أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١-٢٠٠٢ ، دار البيان العربي .
- تفسير الثمرات اليانعة والأحكام الواضحة القاطعة للعلامة يوسف بن أحمد بن عثمان الشهير بالفقيه يوسف رحمه الله ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣-٢٠٠٢ ، مكتبة التراث الإسلامي ، الجمهورية اليمنية ، صعدة .
- تفسير الخطيب الشربيني السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، للإمام الشيخ محمد بن أحمد الخطيب الشربيني المصري ، خرج آياته وأحاديثه وعلق حواشيه إبراهيم شمس الدين ، الطبعة الأولى، ١٤٢٥-٢٠٠٤ ،دار الكتب العلمية ، بيروت.
- تفسير العلامة أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، الطبعة بدون ، دار الفكر ، بيروت .

- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل ، محمد جمال الدين القاسمي ، وقف على طبعه وتصحيحه وخرّج آياته وأحاديثه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨-١٩٧٨ ، دار الفكر ، بيروت .
- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .
- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين ، (تفسير سورة البقرة)، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ ، دار ابن الجوزي ، الدمام .
- تفسير القرآن للشيخ عز الدين ابن عبد السلام السلمي الشافعي ، قدم له وحققه وعلق عليه د/ عبد الله بن إبراهيم الوهيبي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦-١٩٩٦ ، الأحساء .
- تفسير المراغي لصاحب الفضيلة أحمد مصطفى المراغي ، خرّج آياته وأحاديثه باسل عيون السود ، الطبقة الأولى ، ١٤١٨ -١٩٩٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تفسير آيات الأحكام في سورة النساء ، أ. د. سليمان بن إبراهيم اللاحم ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤-٢٠٠٣ ، دار العاصمة ، الرياض .
- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن للعلامة محمد الأمين بن عبد الله الأُرمي الشافعي ، إشراف ومراجعة د. هاشم محمد علي مهدي ، ط بدون ، دار طوق النجاة ، بيروت .
- تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمعه وحققه وعلق عليه إياد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي ، راجعه عثمان بن معلم محمود ، أشرف على طبعه سعد بن فواز الصميل ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٢ ، دار ابن الجوزي – الدمام .

- تفسير مقاتل بن سليمان ، للإمام أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، تحقيق أحمد فريد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣ -١٤٢٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت.
- تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ، للشيخ إسماعيل حقي البروسوى ، اختصار وتحقيق الشيخ محمد علي الصابوني ، الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨ ، دار القلم ، دمشق .
- تنوير المستنير في بيان معاني البيان ، الأستاذ الشيخ محمد البشير ابن جديدية ، الطبعة الأولى ، ٢٠١١ ، مطبعة التسفير الفني ، صفاقس .
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للعلامة عبد الرحمن السعدي ، تقديم محمد زهري النجار ، الطبعة ١٤٠٨-١٩٨٨ ، مطبعة المدني – مصر .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الطبعة الأولى ١٤٢٤- ٢٠٠٣ ، دار عالم الكتب ، الرياض .
- جامع البيان في مفردات القرآن ، جمع وتحقيق أ. د. عبد الحميد هنداوي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨-٢٠٠٧ ، مكتبة الرشد ، الرياض .
- درج الدرر في تفسير القرآن العظيم ، عبد القاهر الجرجاني ، دراسة وتحقيق د. طلعت صلاح الفرحان و محمد أديب شكور ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ – ١٤٣٠ ، دار الفكر ، عمان ، الأردن .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين ، السيد محمود الألوسي البغدادي ، ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢-٢٠٠١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- زهرة التفاسير ، للإمام محمد أبو زهرة ، ط بدون ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

- سير أعلام النبلاء تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط وحقق هذا الجزء علي أبو زيد ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢-١٩٨٢ ، مؤسسة الرسالة .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٧-١٩٢٩ ، الطبعة المصرية بالأزهر .
- غرائب التفسير وعجائب التأويل ، للشيخ محمود بن حمزة الكرماني ، تحقيق د. شمران سركال يونس العجلي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨-١٩٨٨ ، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حقق أصولها وأجازها الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الطبعة ١٤١٤-١٩٩٣ ، دار الفكر، بيروت .
- فتح القدير (تفسير الشوكاني) للعلامة محمد بن علي الشوكاني ، تحقيق عبد الرزاق المهدي، مراجعة د. محمد الاسكندراني وأحمد إبراهيم زهوة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠-١٩٩٩ ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، الطبعة السابعة ، ١٣٩١-١٩٧١ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- لسان العرب ، للعلامة أبي الفضل جمال الدين ابن منظور ، الطبعة الثالثة ١٤١٤-١٩٩٤ ، دار صادر ، بيروت .
- مدخل إلى التصور الإسلامي للإنسان والحياة ، عابد توفيق الهاشمي ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢-١٩٨٢ ، دار الفرقان للنشر والتوزيع – عمان .
- معجم الغنى الزاهر ، د. عبد الغني أبو العزم ، الطبعة بدون ، مؤسسة الغني للنشر .
- معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، الطبعة ١٤٢٠-١٩٩٩ ، دار الجيل ، بيروت .

- منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين ، عز الدين بليق ، الطبعة الأولى ١٣٩٨ – ١٩٧٨ ، دار الفتح ، بيروت .
- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم ، محمد الغزالي ، الطبعة التاسعة ، ١٤٢٧–٢٠٠٧، دار الشروق ، القاهرة .
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، للإمام برهان الدين البقاعي ، خرّج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق المهدي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥–١٩٩٥ ، دار الكتب العلمية، بيروت .

مواقع الكترونية :

- منتديات مكتبتنا العربية ، الجوانب الفنية في فواتح السور القرآنية ، د. عبد الكريم الخزرجي.
- منتدى فرسان الحق ، دلالات أدوات الاستفهام البلاغية .